من مفهوم الإيزوتيريك

المصير والقدر

بقلم: فؤاد علم الدين
www.esoteric-lebanon.org

"في قدسية محراب القلب، سَمِعَ الإنسانُ همساً.. أنصتَ، فسمعَ صوتَ الروح تناديه.. فابتدأ المسير.. في صفاء ذلك الفضاء اللامتناهي ، سمعَ الإلهُ سمعَ الإنسان يناجيه.. فانتهى المسير!!".

بهذه الصورة المجازية البليغة المصوّرة ببلاغة الأدب الإنساني الرفيع.. يُعرّف كتاب الإيزوتيريك العاشر "اللاوعي إن حكى.." كلَّ من القدر والمصير في لحظة تلاقيهما. من اللحظة التي يعي فيها المرء هدف وجوده، إلى تلك اللحظة التي تعود فيها الروح الإنسانية وتنصهر في غبطة العالم اللامتناهي..

مسار القدر وُجِد مع انطلاقة الروح الإنسانية من موئلها.. خطّ الانطلاقة العقل الكوني، ومهّدتها المحبة الكليّة.. مسار مستقيم هو، ممتد من محور الخلق في قلب الخالق، إلى محور الخليقة في قلب المخلوق - الإنسان. مسار شفاف رقراق، فهو من نورهِ اشراقة.. واضح المنشأ والمصبّ، هو مسار البداية والنهاية، نقطة الانطلاق والوصول معاً.. ومع ذلك، لا يمكن أن نبصره إلّا بعين الحق، ولا يمكن أن نستشفّه إلّا بحسّ الضمير، ولا يمكن أن نتلمّسه إلّا بالفكر المستنير.. نراه في رؤى من الأحلام، نسمع صمته في سكون الأمل العميق نستشعر بوجوده في كل لحظة صدق مع الذات..

كما يصف كتاب الإيزوتيريك الثاني والثلاثون "تعرّف إلى ذكائك" المسار القدري بالتالي: "إنّ ذكاء الروح هو انعكاس قدرة الخالق في أسمى مخلوقاته، الإنسان، وهو (ذكاء الروح) الحقيقة الأولى التي خطّت المسار القدري في أرواح البشر.. خطته من النقطة في الدائرة إلى النقاط التي تكوّن الدائرة، ومن ثم إلى التشعبات التي تحوّل الدائرة كرة في نهاية المطاف. تلكم هي معالم المسار، مسيرة حقيقة المعرفة الانسانية منذ استهلالها حتى منتهاها ضمن نظامنا الشمسي".

هكذا انطلق المسار القدري، ومعه انطلقت حرية الإختيار، تنضح من دواخل الإنسان وتنضج فيه كجزء من كينونته.. فحرية الاختيار هبة مقدسة، وهبها الخالق لمخلوقه منذ بزوغ شمس الوعي، كدليل ولا أسطع على عظمة المحبة الكلية التي منها انطلق الإنسان. تلك الحريّة التي جعلت من الكون مرتع الإنسان، ينطلق بإرادته أينما شاء ، إرادته المستمدة من إرادة الحياة والوجود..

وهكذا استمر المسير إلى أن وقع الإنسان في شراك نفسه، واقترف الخطيئة الكبرى، خطيئته كانت حين استعاض عن ذكاء الروح بدهاء النفس، وبعد أن توارى عن الحق بزيّ الزيف، علق في شباك واقعه المحدود.. ابتعد وابتعد..، ابتعد عن روحه، عن ذاته، وحتى عن نفسه، نفسه التي باتت غريبة عنه، وهو غريب عنها.. ابتعد في دروب ملتوية، في دهاليز اختلقها بنفسه، وتعلّق بها وعلّق مصيره فيها.. صار مصيره مساره، والمسار القدري حلم ووهم..

حاك من تلك الحرية المقدسة شرنقة أسر نفسه فيها، بنى بسلبيات مسلكه وتصرفاته جداراً قسّم الدروب إلى إلتواءات، والحقيقة إلى وقائع.. والوحدة إلى ازدواجية.. زجّ نفسه في سجن اللاوعي بغروره وأنانيته، بعنجهيته وعناده، بجهله وانغلاقه وتكابره.. ففقد بوصلة نفسه..

هذا الواقع يمثل السواد الأعظم من البشر في الزمن الراهن..

كل بشري يمثل واقع ابتعاد الإنسان عن قدره، يمثل غيه المستميت في البقاء في ظلمة المادة بعيداً عن نقطة النور التي أودعها الخالق في كل ذرة من كيانه.. هكذا ابتعد الانسان عن المسار القدري، وتاه في دروب المصير التي أوجدتها نفسه البشرية..

مصير قطرات المياه أن تتبخّر بفعل أشعة الشمس. لكن قدرها أن تعود وتتساقط غيثاً لتروي التربة فتتحوّل إلى عصارة حياة داخل عروق العشب والزهر والأشجار.. مصير النهر أن يصبّ في البحر، لكن قدره أن يروي كل حياة ظمأى على ضفافه في رحلته نحو وحدته الكليّة، وحدة أجزائه في المحيط.. مصير البذرة أن تشقّ طريقها من تحت التراب لتغدو زهرة، لكن قدرها أن تعبق بأريجها وتنقل شذاها إلى سائر الكائنات..

مجلة الابعاد الخفية الصادرة في الكويت

عدد كانون الثاني- شباط 2013